

الأديب العربي والاستعمار الجديد

بقلم محمد علي

جديد لا يستطيع ان يؤديه بالاسلوب الذي ادى به واجبه ازاء الاستعمار القديم . أصبح عليه ان يدرس وأصبح عليه ان يتعمق في هذا الدرس ليعرف معرفة اليقين موطن القفلة الذي افضى بنا الى هذا الموقف الدقيق الحرج . عليه ان يغير نفسه ليدرك بعمق التغييرات التي حدثت في محيطنا العربي وما يتبع هذا من بناء جديد لكياننا الجديد الذي ينبغي لنا ان نواجه به غزو الاستعمار في ثوبه الجديد .

نسال مرة اخرى ما هو دور الاديب في هذا المصمار ؟ من غير شك نحن لم نهزم لا لاننا اقل من العدو شجاعة وبأسا ، ولا لاننا اقل منه صلابة في الإرادة ، ولا لاننا اقل منه تطلعا الى الحياة الحرة الكريمة ، بل نحن فوق كل هذا اصحاب الارض واصحاب الشأن في هذه الارض ، وهو لص لا يحمل وثيقة شرعية تتيج له زيارة ارضنا . نحن هزمتنا لاننا لم نبر بصروح تام احابيل هذا الاستعمار الجديد . او اذا اردنا الدقة ، فان الكثير من حكمانا لم يبرصوا بوضوح احابيل هذا الاستعمار الجديد ، وان اجزاء كبيرة من الشعب العربي في الوطن العربي الكبير تحتاج الى من يفتح عيونها ويضيء لها النوافذ لتري ان الاستعمار ليس هو حكاما اجانب ، واعلاما اجنبية ترفع على الدور الاجنبية ، وجيوشا تحمي هذه المظاهر التي غابتها استقلال الشعوب وامتصاص دعائها . فقد اختلفت الصورة كما اسلفنا ، فهمة الاديب العربي اليوم ان يوقف الشعوب العربية التي لم تستيقظ بعد ، وان يقارع الحكام الذين لم يدركوا تمام الادراك حقيقة الاستعمار في ثوبه الجديد ، ويقارع الذين ادركوها ولكنهم ساندوها عن عمد لان مصالحهم ترتبط بمصالحه ، وان يشير اليهم اشارة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، وان يعريهم في وضح النهار . ولا بد لهذا الاديب البصير ان يحرك الشعوب لا بالهتاف والخطب الرنانة والقصائد الطنانة التي تنفي بالبطولة انبأس والاقدام فقط ، بل لا بد له ان يوقف الشعوب العربية لتدرك دعائم البناء التي تحميها أولا من الغزو الجديد وتدفعها ثانيا الى المساهمة الفعالة النشطة في اشاعة الخير وتدعيم السلام والرخاء والمحبة على الارض .

ويمكن على سبيل المثال ان نشير فنقول ان هدف الاستعمار قديمه وجديده هدف اقتصادي بحث يتوسل اليه بوسائل كثيرة قد اشرنا الى بعضها ، وأهمها طمس معالم الطريق بتزييف الثقافة وقتل الجذور الحية من الثقافة الوطنية ومحاربة الاشتراكية العربية التي هي السور الذي يقف امام زحفه الاقتصادي المتواصل . اذن فعلى الاديب العربي البصير ان يبصر الشعوب من غير ان يدعو دعوة سافرة ، تشبه في تجردها وسفورها اساليب الذين يشتغلون بالسياسة البحتة ، الى امور هي اساس البناء الصلد ، ويمكن ان نعد منها مساندة القوى التقدمية الثورية في كل ناحية من انحاء العالم ، لاننا في وسط هذا الخضم لا نستطيع ان نقف وحدنا ، فنحن نحتاج الى الخبرة والسلاح ، ونحتاج الى العون المعنوي ايضا والى التأييد ، ونحن في الميدان الاقتصادي ينبغي ان نظارد رأس المال الاجنبي مطاردة لا هواده فيها ، لانه هو الثغرة التي يتسلل منها التضييل ويتسلل منها شراء الضمائر . وعلى الاديب العربي قبل كل هذا ان يحرز ثقة الشعب بثقائه المختلفة ، وعليه ان يبصر الناس بفته الجذاب وعبقريته الخلاقة الى امور عطلها الاستعمار ليكون فارس الميدان فيها ، هي محو الامية محوا تاما في كل الوطن العربي ، والامية السياسية خاصة ، والرجوع البصير الى ثقافتنا العربية وثقافتنا التي اضيفت اليها في مواطننا المختلفة في وطننا

لقد تخلصنا من الاستعمار في ثوبه القديم وكان يقوم على الاباحة الفكرية واستغلال قوى الشعوب . ولكن شعوبنا المناضلة اتخذت من ثقافتها درعا واقيا وجيشا غازيا حتى غادرنا هذا الاستعمار القديم بعد ان غرس في ارضنا جذورا من ثقافته المخربة واقام في ارضنا وكلاءه القائمين على حراسة هذه الثقافة وزعايتها لضمان مصالحه المادية . هذا هو الاستعمار في صورته الجديدة وهو في هذه الصورة اخطر منه في شكله القديم اذ ان معالمه المادية التي كانت تثير الشعوب قد اختفت ولم يصبح عامة الناس يرون امامهم عدوا غازيا يصوبون اليه صدره السهام مباشرة بل صاروا يرون بينهم هؤلاء الوكلاء الذين هم من ابناء جلدتهم . ويختلف الناس فيهم اشد الاختلاف ، فمنهم من يرفعهم الى ذروة الوطنية الشامخة ومنهم من يصفهم باقبح صفات الخيانة . والاستعمار مع خفائه المادي عن العيان لا يزال يصل الى اهدافه القديمة والوعى في بعض هذه الشعوب الحديثة الاستقلال مخدر بثقافته التي خلفها وراءه وانتي رسبها في الاممات أيام سلطانه المباشر وانتي تعمل على نشرها مؤسسات مختلفة متعددة النشاط تعمل عمدا على تفرير الاديب لتبذر فيه تناقضا بين العالمية والمحلية وتغمسه في الصالة الغربية حتى تروض أي حدة عميقة بليفة قد تنقله الى الشعب وتبصره بحقيقته وتشحن روحه بالكبرياء والعزّة . ان اخوف ما تخافه تلك المؤسسات وهي تعرف مكانم الخطر هو الابداع الموهوب الاصيل وهي لسن تحفل بلجاجة ممسوخة ركيكة تصدر عن كاتب عاقل وهي لسن تعني نفسها بالتصدق عليه بموهبة لم تكن فيه .

هذه صورة مختصرة لما نسميه بالاستعمار الحديث ، فما هو موقف الاديب العربي من محاربة هذا اللون من الاستعمار ؟ لقد ابدى معظم ادبائنا بلاد حسنا في مكافحة الاستعمار في صورته القديمة وكانت لهم مواقف مشهودة بصروا فيها الشعب بماضيه وحاضره ، وغنوا لمواكب الحرية ونعموا الاناشيد التي غرست مبادئ العزة والثورة في الاجيال منذ نشأتها الاولى ، فادوا الامانة ، ولكن كما رأينا فان الامر قد اختلف وأصبح الاستعمار يهيم على كثير من الشعوب التي استقلت حديثا بصورة جديدة تدعو الى وعي جديد وتدعو الى اسلحة جديدة يخافها هذا الوعي لتوائم الموقف الجديد . فقد رأينا ان الاستعمار يحوم حول استقلالنا ويتسلل الى عقولنا طورا بالترغيب وطورا بالترهيب للقضاء على الاشتراكية العربية والقضاء على القومية العربية التي برهنت ظروف المحنة الاخيرة انها لم تكن شعارا مرفوعا ليس وراءه رصيد من الشعور ، ولم تكن هتافا عاليا يخرج من الحلق ولا تتصل جذوره بالصدور ، انها قضية المصير للشعوب العربية التي اراد الاستعمار الجديد ان يقضي على حيويتها ويجلبها عن اوطانها بسواعده التي تخنبي وراء اداته الشائنة اسرايل .

هذه المحنة الاخيرة نبهت الشعوب العربية اعنف تنبيه وهزمت الضمير العربي هذا قويا فكان مؤنر الخراطوم مظهرا لهذا الوعي الجديد ومظهرا لارادة الشعوب العربية التي لن تخضع ولن تلين . فنحن قد هزمتنا حقا في مظهرنا المادي ، ولكن جوهرنا لم يهزم ، وهو الرصيد الثمين الذي هو امضى من السلاح وما يصنعه السلاح . نريد ان نبدأ من جديد ، لان ظروف هذه النكسة املت علينا ان نبدأ من جديد ، فاصبح على حكوماتنا ان تنظر في امرها واصبح على شعوبنا ان تنظر في امرها ايضا ، واتقل كاهل الاديب العربي بعبء

نعد العدة والعتاد لتنتقي عارها وعواقبها الوخيمة ، ينبغي ان يكون الاديب العربي الذي يحدو قومه الى قمة يجتمع فيها لا للتشاور والبحث وحده ، ولا لاعداد الوسائل وحدها بل لنشدو ونصيح صيحات الفرح بالانتصار العظيم للقومية العربية وللإشتراكية العربية ، وليظهر الوطن العربي من الصهيونية ومن الاستعمار الحديث الذي يحمل في يده الصهيونية رمحا موجها الى صدر الوطن العربي . وبالاختصار ينبغي ان يستفيد الاديب العربي البصير من هذه الهزيمة فائدة تبني كيانه بناء جديدا لينادي الشعوب العربية نداء جديدا ليس بالشعارات والهتافات وليس بالاسلوب القديم الذي حارب به الاستعمار القديم ولكن بأسلوب جديد يناسب الاوضاع الجديدة وينبغي أن يتطور في فنه كما تطور في وعيه فصب مشاعره الخيرة في الاسلوب الذي تفهمه الشعوب العربية فهما جيدا . لتعلم ان قضيتها لا تنفصل ولا تنضم عن قضية الشعوب المناضلة في أفريقيا وآسيا ولا تنضم عن قضيه فيتنام وعن قضية جنوب أفريقيا وعن قضية الزوج في أمريكا وعن قضية أي شعب يريد أن يرفع رأسه عاليا ويعيش عيشة سعيدة ونحن جميعا في المصيبة اخوان .

واخيرا نود ان نقول ان ما يخصنا من هذا البحث الحيوي فسي هذه اللحظات الحيوية قد وصل اليها متأخرا جدا فلم نجد فرصة للتروي والامعان فكتبنا مرتجلين ولكننا مرتجلون بوجدان ملتهب يتجاوب تلهبه مع تلهب اللحظة الحاضرة ، فترجو ان يقبل منا عذر الارتجال الذي يتجاوب مع ارتجال انهما غير المتوقع ومع تبليغنا هذا الموضوع في فترة لم تناهب فيها للقول وانما تأهنا فيها للفعل فنحن جميعا ادباء وجنود وما شئت من فئات الشعب كلنا في الميدان .
ونحب ان نختم هذا الحديث بقول سيدنا عثمان : « انتم الى امير فعال احوج منكم الى امير قوال » .

محمد محمد علي
مندوب السودان

العربي الكبير لتلنقط الجنور الحية منها القابلة للنمو والازدهار ، والتي تفتح صدرها للثقافة العالمية النظيفه القابلة للتلقح الحي الذي يعين على النمو والازدهار ، ومن غير ان ندخل في امور يحسن القول فيها اخواننا الذين تخصصوا في فروع العلم المختلفة .
ندعو المثقف الوطني العربي في مختلف بقاعه ان يدعوا الى هذه الثقافة العملية النظيفه في أفق نظيف ، وكل القواعد العسكرية ينبغي الا يكون لها وجود في الوطن العربي .

تكرر مرة اخرى ان الاديب ينبغي ان يخاطب الشعوب التي هي صاحبة الشأن في كل تغيير يحدث في المستقبل لا بلفسة السياسة المباشرة بل بلغة الادب النابض لانه صاحب موهبة تحرك الاحاسيس الدقيقة في وجدانها العميق . نحن ابناء اللغة العربية والذين ينبغي ان يدركوا اسرار هذه اللغة التي شهد شاهد من غير اهلها انها وعاء شفاف حضاري حوى ثقافة اليونان واحتفظ بها بعد ان قضى عليها ان تنام في مرقدها ، ولم ياب ما اضافها اليها الرومان ، واخذ الاجزاء الحية من ثقافة الفرس ، ومزج هذا كله بملكته وعبقريته القوية في نسق انساني ليس فيه شيء من التنافر ، وبعث به اوروبا الحديثة .

نحن ابناء هذه اللغة ينبغي علينا ان نرجع اليها رجعة بصيرة مزودين بثقافة العصر لنستمد منها الشراء النافع الاصيل كما فعل اوانلنا ، والا نطرح شخصيتنا ونذوب في اطار من الصور الغربية المستعارة .

نحب ان نقول اننا لا نرفض بل نرحب ترحيبا فيه بشاشة وحفاوة بكل جديد نافع يأتي اليها من كل حذب وصبوب ، ولكن بشرط ان نصوغه وان نوائمه بينه وبين قديمنا مواعة حميمة لا أن يصوغنا هو صياغة نذهلنا عن انفسنا . نعني بكل وضوح ان المبدع العربي من همه في هذه الفترة الجديدة ، وبعد هذه الهزيمة التي آتت نتيجة حتمية لاطياء جسيمة ينبغي ان نعترف بها جميعا ، وان نحمل مسؤوليتها جميعا ، وان

صدر حديثا

دار الاداب تقدم الارهابيون والفدائيون

تأليف رولان غوشيه

ترجمة ريمون نشاطي

في شهر آذار (مارس) عام ١٨٨١ هاجم بعض الشبان الذين يحملون قنابل يدوية القيصر الكسندر الثاني ، فقتل القيصر ، ولكن الطغيان ظل حيا .
ومع ذلك ، فان الارهاب دخل حلبة التاريخ على اثر هذا الحادث . فما لبثت فئات كثيرة ان تبنت هذا الاسلوب : الاشتراكيون - الثوريون ، الفوضويون ، البولشفيك ، الجيش الجمهوري الايرلندي ، الارهابيون الالمان والحرس الحديدي ، عصابتا الارغون وشتيرن في فلسطين ، منظمة الجيش السري الفرنسي الخ... كما ان جبهة التحرير الجزائرية قامت باعمال فدائية باهرة ضد الجيش الفرنسي المحتل ، وكان احد ابرز قادتها ياسف سعدي . ويقوم الآن الفدائيون العرب الابطال في فلسطين باروع المآثر .
ولا تزال اعمال الارهاب والفدائية منتشرة في كثير من اقطار العالم ، والواقع ان هذا الشكل من المقاومة يحل تدريجيا محل الحرب التي يصعب فيها تجنيد كتل بشرية كبيرة وتوشك ان تؤدي الى نزاع عالمي ذي نتائج خطيرة .

وهذا الكتاب الذي وضعه الكاتب الفرنسي رولان غوشيه يروي بأسلوب جذاب تاريخ الحركات الارهابية والفدائية في العالم منذ روسيا القيصرية حتى ايامنا . الثمن ٤٥ ق. ل.